الفصل الثانى

المعنى ودور السيمانتيك فى السلوك الإنسانى

التركيب اللغوى :

يختلف التركيب اللغوى فى أحاديث الأفراد اليومية تبعاً لمقتضيات الموقف نفسه ، وكذلك تبعاً للأفراد المخاطبين أنفسهم .

وبالتالى نجد العديد من التراكيب اللغوية ، تختلف اختلافاً بينا تبعاً لنوع العلاقة بين المتكلم والمخاطب ، وتبعاً للوضع الاجتماعى والثقافى عند كل منهما .

كما أن لمدى الألفة والصلة الروحية بينهما شأن هام فى تحديد مضامين الألفاظ ونوعيتها . فكلام الأب لأبنائه مثلا ، غير كلامه مع رئيسه فى العمل ؛ كما أن كلامه لصديقه يتصف بنوعية خاصة غير السابقة ، إلى غير ذلك من مواقف تتطلب تركيباً لغوياً خاصاً إذا استعمل غيره ، أخل بالفحوى والمضمون .

وفى الواقع ، لما كان لكل لغة قوانينها ، وضوابطها ، وبلاغتها ، وتبيانها . وجب على المتكلم أن يكون ملماً بها ليصوغ من تراكيبها وأساليبها ما يلائم المخاطب ليستطيع فهم ما تتضمنه الألفاظ من معان .

وبمقدار إلمام المتكلم بأساليب اللغة ، ومعرفته ظروف المخاطب ، يتوقف مقدار ما يمكن أن تؤديه التراكيب اللغوية من معان .

أما ما يحدث من اختلاف فى فهم معانى الألفاظ بين المتكلم والمخاطب ، ينتج من أن اللفظ الواحد ، أو التركيب اللغوى ، يتضمن أكثر من معنى . ومن ذلك مثلا : اللفظ « ثب » وهو فعل أمر من وثب أى قفز . إلا أن معنى وثب فى لغة حمير هو « جلس » . وحمير مملكة على ساحل الخليج العربى وعاصمتها « ظفار » .

ومن هنا كان اللبس فى فهم معنى هذا اللفظ بالنسبة إلى أحد الشعراء حين ذهب إلى مدينة ظفار وقفز من أعلى الجبل ، لأن الملك قال له : ثب . والملك كان يعنى « اجلس » .

ومن هنا قال الملك ذلك المثل العربى المشهور : « من دخل ظفار حمر » . أى من يأتينا

يجب أن يعرف لغتنا وهى « الحميرية » .

والكناية فى اللغة ، يقصد بها معنى معين غير مباشر ، فالتركيب اللغوى يمكن أن يتضمن معنيين : معنى ظاهر مباشر ، ومعنى ضمنى غير مباشر . فمثلا تقول العرب : « فلان كثير الرماد » ، كناية عن الكرم والجود ، حيث ينحر للضيوف ويوقد النيران لطهو اللحوم ، فيتخلف عنها رماد كثير بمقدار كرمه وسخائه . كما تقول أيضاً : « فلان هزيل الفصيل » ، والفصيل ابن الناقة ، وهذا كناية عن كرم صاحب الناقة لأنه يسقى لبنها للضيوف ، فيهزل فصيلها .

إن العرب فى حياتها اللغوية ، كانت تنطق اللغة العربية الفصحى ، حيث كان الطفل ينطق بها معربة ، كأبويه ومن حوله ، فيرفع الفاعل ، وينصب المفعول ، ويجر المضاف إليه ، والمجرور بحرف جر .

فمثلا ، سأل طفل والده هذا السؤال : « ما أحسن السماء ؟ » .

فأجابه والده : «نجومها» . فرد الطفل قائلاً : ما أردت الاستفهام ؛ إنما أردت التعجب » . فقال والده ، إذن قل : « ما أحسن السماء ! » .

وهكذا ، يتبين لنا تغير المعنى فى التركيب اللغوى الواحد ، تبعاً للقواعد التى يتضمنها علم النحو ، وهو العلم الذى يتعلق بأواخر الكلمات رفعاً ونصباً وجراً وجزما ، أى من حيث إعراب الكلمة نفسها .

ويدلنا هذا التركيب اللغوى : « وجدت فلانا ولكنى وجدت عليه » ؛ على تغير المعنى تغيراً تاماً بما فيه من « جناس تام » . والجناس من علم البديع ، الذى هوأحد الفروع الثلاثة التى تتضمنها علوم البلاغة : « المعانى ، والبيان ، والبديع » .

ونلاحظ فتح « الجيم » فى اللفظ الأول « وجد » ؛ وكسر « الجيم » فى اللفظ الثانى « وجد » .

وتبعا لذلك أصبح معنى اللفظ الأول هو : عثرت على فلان ، بينما معنى اللفظ الثانى هو : غضبت من فلان .

ومن أنواع الجناس أيضاً تلك الحكمة المشهورة : « وأرضهم مادمت فى أرضهم . ودارهم مادمت فى دارهم » .

فمعنى اللفظ الأول « أرضهم » : كن محل رضائهم ولا تغضبهم . بينما معنى اللفظ الثانى هو : الأرض التى يقيمون فيها .

ومعنى اللفظ الأول « دارهم » : لا ينهم ولا تخالفهم . بينما معنى اللفظ الثانى « دارهم » هو : الديار التى يقيمون فيها .

* * *

obeikandl.com

الدلالة والمعنى فى التراكيب اللغوية القرآنية

القرآن الكريم فى قمة العربية فصاحة وبلاغة ، لما له من خواص التراكيب اللغوية ، ودقة الأساليب ، وعمق المعانى ، فى سائر آيات اعجازه مالا يستقل بأدائه لسان .

إن القرآن نزل بلسان عربى ، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع . وتختلف المعانى باختلاف الاعراب . ومن هنا كانت أهمية علم النحو ، وعلم البنية من حيث التصريف والاشتقاق . إذ يتضح معنى اللفظ من خلال مصادره ومشتقاته .

وهكذا ، يختلف المعنى وتتباين الدلالة تبعاً لخواص تراكيب الألفاظ ، كما أن وجوه تحسين الكلام - وهى علوم البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع . من أهم الركائز التى يرتكز عليها المفسر ، إذ لابد له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز . وإنما يدرك الاعجاز بهذه العلوم .

اعجاز القرآن الكريم :

القرآن الكريم معجزة المعجزات ، وآية الآيات .. فقد نزل على نبى أمى يعيش وسط قوم هم ملوك الكلام ، وأساطين البيان ، ومعقل الفصاحة ، ومنبت البلاغة . فأعجزهم بفصاحته وسحر بيانه ، واحتوائه على الشرائع الدارسة ، والأحكام العقلية . وإفاضته فى أنباء المستقبل كما جاء فى سورة الروم وغيرها : « آلم . غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد » والغيب لا يعلمه إلا الله ، أو من اصطفاه : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » .

سلامة القرآن الكريم من الاختلاف والتضارب والتناقض . قال تعالى فى سورة النساء : « أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ..

يتميز القرآن بأسلوبه ومعانيه السامية على كثرتها : من قصص وأمثال ، وحكم وأحكام ، وتوحيد ، وتثقيف وتهذيب ، وترغيب وترهيب ، إلى غير ذلك مما ليس فى طوق البشر . فالقرآن جمع فنوعى من : علوم وآداب ، وسياسة واقتصاد ، ودين واجتماع إلى غير ذلك مما لا يقوى عليه الإنسان .

وقد أزرى أسلوبه بكل فصاحة تفخر بها العرب ، فإذا شاءوا وصفه لا يجدون من القول ما يستعينون به إلا هو ؛ فيصفون القرآن بالقرآن .

وما أحسن قول أمير الشعراء ، أحمد شوقى فى وصف القرآن الكريم :

جـــاء النبيـــون بالآيات فانصـــرمت
وجئتنـــا بحـــكيم غـــير منصـــــرم
آياته كلمـــا طـــال المـــدى جـــدد
يزينهـــن جـــــلال العتق والقـــدم
يـــكاد فى لفظـــة منـــه مشرفـــــة
يوصـــيك بالحـــق والتقـــوى وبالرحـــم
يا أفصـــح الناطقين الضـــاد قاطبـــة
حديثك الشـــهد عنـــد الذائق الفهـــم

علوم القرآن وعلم الإعراب :

المقصود بعلوم القرآن: العلم الذى يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول ، وجمع القرآن وترتيبه ، ومعرفة المكى والمدنى ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه .. إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن . وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول المباحث التى لابد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها فى تفسير القرآن .

والقرآن يعالج المشكلات الإنسانية فى شتى مواقف الحياة .. العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجاً حكيماً ، لأنه تنزيل الحكيم الحميد .

وقد حرص الصحابة على تلقى القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه وفهمه . وهكذا ظل القرآن يعتمد على الرواية بالتلقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

وحينما جاءت خلافة عثمان رضى الله عنه ، واقتضت الدواعى - إلى جمع المسلمين على مصحف واحد سمى بالمصحف الامام ، وأرسلت نسخ منه إلى الأمصار ، وسميت كتابته بالرسم العثمانى . ويعتبر هذا بداية « لعلم رسم القرآن » .

ثم كانت خلافة على رضى الله عنه ، فوضع أبو الأسود الدؤلى قواعد النحو ، صيانة لسلامة النطق ، وضبطاً للقرآن الكريم ، ويعتبر هذا بداية « لعلم اعراب القرآن » .

نزول القرآن على سبعة أحرف :

لقد كان للعرب لهجات شتى تنبع من طبيعة فطرتهم فى أصواتها وحروفها .. فكل قبيلة لها من اللحن فى كثير من الكلمات يختلف عن غيرها .

وكانت الصدارة للغة قريش ، حيث تنزل القرآن بهذه اللغة على الرسول القرشى تأليفا للعرب وتحقيقاً لاعجاز القرآن حين يأتى فى أيديهم أن يأتوا بمثله أو بسورة منه .

وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم فى المعنى الواحد ؛ فالقرآن الذى أوحى الله به لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم يكمل له معنى الاعجاز إذا كان مستجمعاً لحروفه وأوجه قراءته وذلك مما ييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم .

واختلف العلماء فى تفسير هذه الأحرف اختلافا كثيرا :

(أ) يقصد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب فى المعنى الواحد ، فحيث أنه تختلف لغات العرب فى التعبير عن معنى من المعانى ؛ يأتى القرآن منزلا بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد .

(ب) الأحرف السبعة هى سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن ، أى أنه فى جملته لا يخرج فى ألفاظه عن سبع لغات هى أفصح لغاتهم ، فأكثره بلغة قريش ، ومنه ما هو بلغة هزيل ، أو ثقيف ، أو هوزان ، أو كنانة ، أو تميم ، أو اليمن .

ويختلف هذا الرأى عن سابقه لأنه يعنى أن الأحرف السبعة متفرقة فى سور القرآن ؛ لا أنها لغات مختلفة فى لفظ واحد باتفاق المعانى .

(جـ) الأحرف السبعة هى أوجه سبعة : الأمر ، والنهى ، والوعد ، والوعيد ، والجدل ، والقصص ، والمثل .

أو : الأمر ، والنهى ، والحلال ، والحرام ، والحكم ، والمتشابه ، والأمثال .

(د) الأحرف السبعة هى وجوه التغاير السبعة التى يقع فيها الاختلاف وهى :

١ – اختلاف الأسماء بالافراد والتذكير وفروعهما « التثنية ، والجمع ، والتأنيث » كقوله تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، ٨ ـ المؤمنون » .

قـرىء « لأماناتهم » بالجمـع . وقرىء « لأمانتهم » بالافراد . ورسـمها فى المصحف

« لأمنتهم » . يراد بالجمع الاستغراق الدال على الجنسية ، وبالافراد الجنس الدال على معنى الكثرة ، أى جنس الأمانة . والمعنى واحد فى الوجهين .

٢ – اختلاف الاعراب ، كقوله تعالى : « ما هذا بشرا ، ٣١ – يوسف » . قرأ الجمهور بالنصب ، و« ما » تعمل عمل « ليس » وهى لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن .

وقرأ ابن مسعود « ما هذا بشر » بالرفع ، بلغة بنى تميم ، حيث « ما » لا تعمل عمل « ليس » .

٣ – اختلاف التصريف ، كقوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، ١٩ ـ سبأ » .

قرىء بنصب « ربنا » على أنه منادى مضاف ، و« باعد » بصيغة الأمر .

وقرىء « ربنا » بالرفع ، و« باعد » بفتح العين ، على أنه فعل ماض .

وقرىء « بعد » بفتح العين مشددة مع رفع « ربنا » .

٤ – الاختلاف بالتقديم والتأخير ، إما فى الحرف ، كقوله تعالى : « أفلم ييأس ، ٣١ – الرعد » . وقرىء « أفلم يأيس » .

واما فى الكلمة كقوله تعالى : « فيقتلون ويقتلون ، ١١١ ـ التوبة » . بالبناء للفاعل فى الأول ، وللمفعول فى الثانى . وقرىء بالعكس أى بالبناء للمفعول فى الأول وللفاعل فى الثانى .

وروى عن أبى بكر أنه قرأ عند الموت .

« وجاءت سكرة الحق بالموت ، ١٩ ـ ق » وبذلك قرأ ابن مسعود وهذا يقبل لصحة معناه . بدلا من قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » فقراءة أحادية (شاذة) ، لم تبلغ درجة التواتر .

٥ – الاختلاف بالابدال كابدال حرف بحرف ، كقوله تعالى : « وانظر إلى العظام كيف ننشزها ، ٢٥٩ ـ البقرة » . قرىء بالزاى المعجمة مع ضم النون ؛ وقرىء بالراء المهملة مع فتح النون .

أو ابدال لفظ بلفظ ، كقوله تعالى : « كالعهن المنفوش . ٥ ـ القارعة » قرأ ابن مسعود وغيره « كالصوف المنفوش » .

٦ – الاختلاف بالزيادة والنقص ، فالزيادة كقوله تعالى : « وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار ، ١٠٠ ـ التوبة » . قرىء « من تحتها الأنهار» . والنقصان كقوله تعالى : « قالوا اتخذ

الله ولدا ، ١١٦ ـ البقرة » . بدون واو . وقراءة الجمهور . « وقالوا اتخذ الله ولدا » بالواو . ويمثل للزيادة بقراءة ابن عباس « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، ٧٩ ـ الكهف » بزيادة « صالحة » . وابدال كلمة « أمام » بكلمة « وراء » وقراءة الجمهور « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » والنقصان بقراءة « والذكر والأنثى » بدلا من قوله تعالى : « وما خلق الذكر والأنثى ، ٣ – الليل » .

٧ – اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق ، والفتح والامالة ، والاظهار والادغام ، والهمز والتسهيل . وتمثل الامالة وعدمها فى قوله تعالى : « هل أتاك حديث موسى ، ٩ ـ طه » . قرىء بامالة « أتى » و « موسى » وترقيق الراء فى قوله تعالى : « خبيرا بصيرا » . وتفخيم اللام فى « الطلاق » . وتسهيل الهمزة فى قوله تعالى : « قد أفلح ، ١ – المؤمنون » .

(هـ) رأى بعض العلماء أن العدد سبعة لا يمثل أى مفهوم ما . وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال فى هذا العدد بالذات . فهو إشارة إلى أن القرآن فى لغته وتركيبه كأنه حدود لكلام العرب كله مع بلوغه الذروة فى الكمال . ولذا فليس المقصود العدد بعينه وبذاته وإنما المقصود هو الكثرة والكمال فى لفظ السبعة فى الآحاد .

(و) كما رأى البعض الآخر أن المقصود بالأحرف السبعة : القراءات السبع . والقرآن غير القراءات . فالقرآن : هو الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز .

والقراءات : هى اختلاف فى كيفية النطق بألفاظ الوحى ، من تخفيف وتثقيل ومد وغير ذلك ..

ويعتبر الرأى الأول من آراء العلماء هو أرجحها جميعا ، من حيث أن المقصود بالأحرف السبعة : سبع لغات من لغات العرب فى المعنى الواحد . مثل أقبل ، وتعال ، وهلم ، وعجل ، وأسرع فهى ألفاظ مختلفة لمعنى واحد .

ولذلك توجد القراءات السبع المشهورة فى القرآن الكريم ، فمثلاً فى مصر يتلى بقراءة حفص بن سليمان ؛ ولذا نجد فى الآية الواحدة أكثر من قراءة ؛ وإذا تتبعنا تفسير (البيضاوى ، ١٣٨٠ هـ) على هامش المصحف الشريف ، نجد أن اختلاف شكل اللفظ بالحركة ، يؤدى بالتالى إلى اختلاف معنى هذا اللفظ فى نفس الآية الواحدة فمثلاً :

فى سورة الاسراء قوله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

(أ) فى قراءة حفص : « أمرنا مترفيها » . ومعنى هذا اللفظ هو : طلبنا من متنعميها طاعتنا ، وذلك على لسان رسول بعثناه إليهم ، فعصوا ، « ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

(ب) وفى قراءة يعقوب : « آمرنا مترفيها » ، بمد الألف ، ومعنى هذا اللفظ هو : أكثرنا (من الكثرة) متنعميها - وهم الطبقة التى يتبعها غيرهم - ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

(جـ) وفى قراءة أبى عمرو : « أمرنا مترفيها » ، ومعنى هذا اللفظ هو : جعلنا متنعميها أمراء عليها (حكاما لها) ، « ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وفى سورة الحجرات قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

ومعنى « فتبينوا » (قراءة حفص) هو : استوضحوا قبل إبرام رأيكم خشية أن تظلموا بناء على الأخذ بنبأ هذا الفاسق بدون استيضاح .

وفى قراءة حمزة والكسائى : « فتثبتوا » ، ومعنى هذا اللفظ هو: توقفوا عن إبرام رأيكم إزاء هذا النبأ الفاسق ، حتى تعرفوا الواقع وذلك أقوى فى المعنى من مجرد الاستيضاح فقط .

إذن : نخلص من ذلك ، أن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن هى لغات متفرقة فى القرآن ومعان فى الألفاظ تسمع فى القراءة . مختلفة فى السمع متفقة فى المعنى . ومختلفة فى السمع وفى المعنى .

ولما أصبح الأمر ملحاً إلى جميع الناس على قراءة واحدة ، وقع الاختيار عليها فى عهد عثمان ، فأخذ ذلك الامام ونسخ فى المصاحف التى بعث بها إلى الكوفة . حتى لا يترك الناس على قراءاتهم المختلفة .. فجمعوا على القراءة التى نحن عليها . وأما ما اختلفت فيه القراءة من الإمالة والإدغام والإظهار والمد والقصر والتشديد والتخفيف .. قراءة تجوز فى العربية .

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف :

١ - تيسير القراءة والحفظ بالنسبة إلى قوم أميين ، لكل قبيلة منهم لسان ولا عهد لهم بحفظ الشرائع . فضلا عن أن يكون ذلك مما ألفوه .

٢ - اعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب : فتعدد مناحى التأليف الصوتى للقرآن تعددا يكافىء الفروع اللسانية التى عليها فطرة اللغة لدى العرب حتى يستطيع كل عربى أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطرى ولهجة قومه مع بقاء الاعجاز الذى تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم ، العرب .

٣ - اعجاز القرآن فى معانيه وأحكامه : فتتقلب الصور اللفظية فى بعض الأحرف والكلمات يتهيأ معه استنباط الأحكام التى تجعل القرآن ملائماً لكل عصر .

دلالات ومعانى القرآن الكريم :

تدور معانى القرآن حول ما يتعلق بالعقيدة من التوحيد [١] ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . لينقى فى الإنسان الجانب النفسى مما يظهر ذلك فى سلوكه وتعامله مع غيره من الأفراد ..

وفى القرآن الكريم ، توجد القراءات السبع المشهورة - كما سبق التوضيح - فمثلا فى مصر يتلى بقراءة حفص بن سليمان ؛ ولذا نجد فى الآية الواحدة أكثر من قراءة .. وهكذا فإن اختلاف شكل اللفظ بالحركة ، يؤدى بالتالى إلى اختلاف معنى هذا اللفظ فى نفس الآية الواحدة .

ومن هنا تكون المعانى التى تلتمس فى ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته فى النفس .

وهى معان ترجع إلى الاسناد ، وإلى خصائص مختلفة فى المسند إليه والمسند ، وفى أضرب الخبر ، وفى متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال ، وفى الفصل بين الجمل والوصل، وفى القصر ، وفى الايجاز والاطناب . وذلك ما يعرف بعلم المعانى .

---

(١) لغة : جعل الشيئ واحدا (وهو ضد التعدد) .

واصطلاحا : علم يبحث فى اثبات وجود الله ، وما يجب أن يتصف به ، وما يستحيل فى حقه ، وما يجوز . وكذلك فى اثبات رسالة الرسل ، وما يجب أن يثبت لهم ، وما يستحيل عليهم ، وما يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام .

إذن : فالتراكيب اللغوية فى القرآن ذات دلالات ومعان نفسية بالنسبة إلى القارىء أو السامع . حيث يختلف المعنى الظاهر للفظ عن المعنى الضمنى له ، حيث فى الأول يدرك الفرد المعانى من قوالبها وأشكالها وتراكيبها وضوابطها ؛ أما فى الثانى فإنه يتجاوز هذا النطاق إلى معرفة ما حول تلك المعانى وما تومىء إليه من أفكار بعيدة غير مباشرة ، ومن مضامين فى التعبير تكمن فى دقة ذوقه ، وسلاسة طبعه ، وقدرته على التمييز بين الحسن والسىء ..

المعنى اللغوى للفظ :

يشتمل القرآن الكريم على ما يدل ظاهر لفظه على معناه ، وهو ما يطلق عليه المعنى اللغوى للفظ ، فجميع صفات الله من العلم والإرادة والقدرة والوحدانية .. يفهم منها من ظاهر اللفظ أن الله عز وجل عالم ومريد وقادر وواحد . وما من آية من آيات القرآن الا ويتضح فيها هذا الجانب من العلامات اللغوية .

فقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب ، وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئاً » . (سورة البقرة ٢٨٢) .

تتضح فى هذه الآية معانى الألفاظ اللغوية من ظاهرها ، فالتداين ، والأجل المسمى ، وكتابة الدين ، والكاتب الذى يكتب ، والأمر بالكتابة كما أمر الله ، وإملاء الذى عليه الحق ، وتقوى الله ، وعدم البخس من الدين ..

كل ذلك يفهم من قراءة النص ومن ظاهر الألفاظ من حيث ما تدل على معناها ، جلية واضحة بالنسبة إلى القارىء والسامع .

وكقوله تعالى : « تلك آيات الله يتلوها عليك بالحق ، وما الله يريد ظلماً للعاملين » . (سورة آل عمران ١٠٨) .

تدل هذه الألفاظ على ما فى القرآن من عبر وعظات ، كما توضح صفة من صفات الله عز وجل وهى العدل .

وتعتبر مثل هذه الألفاظ تحمل معنى ظاهرا للفظ ، يفهمه الفرد بطريقة مباشرة من حيث ما تشير إليه تلك الألفاظ إشارة واضحة جلية لهذا المعنى .

وبالتالى ، تكون هذه الألفاظ والتراكيب اللغوية داخل حدود اللغة إذ تشير صراحة ـ لا ضمناً ـ إلى ما تدل عليه من معان حرفية أو قاموسية .

وهذا ما يطلق عليه فى الدراسات النفسية : المعنى الاشارى denotative meaning وهو ما يقابل الماصدق denotation فى المنطق . ويتضمن هذا المعنى الاشارى تسمية الشىء أو الظاهرة كما هى بالفعل ، أى أنه عبارة عن وصف الظاهرة وصفا ينطبق تمام الانطباق على ماهيتها وجوهرها .

المعنى الضمنى للفظ :

تتضمن التراكيب اللغوية معان ضمنية ، ليست مجرد المعنى كما هو موجود فى اللغة وداخل حدودها ؛ وإنما فى صور المعانى من كناية واستعارة وتمثيل . . . فالنص الأدبى من شعر ونثر وما يتضمنه من تعبير صادق وشحنة انفعالية تتمثل فى كيفية تناول الألفاظ بحيث تظهر فيها تجارب ومواقف حياتية معينة ومعايشة صاحبها لها فى كل دقائقها وتفاصيلها ..

نجد أن القارىء - فى واقع الأمر - لا يكون مشدودا فقط إلى تلك المعانى المباشرة البسيطة التى تحملها الألفاظ ؛ بل إلى مثيرات أخرى أكثر عمقاً تناجى جوانب النفس فتشعر بالامتاع والارتياح ..

لذلك فإن ما وراء الألفاظ والتراكيب اللغوية من معان هى التى تجعل الفرد فى حالة الامتاع والارتياح هذه .

حيث يرى العلماء أن المعنى اللغوى ليس فيه مزية ، لأنه يعايش اللفظ بحكم الوضع ؛ أما المزية فإنها تكمن وراء هذا المعنى والذى لا يدركه إلا أصحاب الأفهام النيرة والهمم المتيقظة . إذ فى الصورة المثلى فى التراكيب اللغوية القرآنية يكمن الاعجاز .

وكقوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء الجن » . فلتقديم الشركاء الحسن والروعة ، والمأخذ من القلوب .. إذ لا يتوافر ذلك فى التأخير حين القول وجعلوا الجن شركاء لله : فى هذه الحالة حالة التأخير كأنها نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر إلى ضده ونقيضه . وهذا هو المعنى المباشر فى حالة التأخير والذى يفهم من لغوية اللفظ .

بينما فى حالة التقديم تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ، ويفيد معه معنى آخر وهو : أنه ما كان ينبغى أن يكون لله شريك ، لا من الجن ولا من غير الجن . وإذا تأخر فقيل : جعلوا الجن شركاء لله : لم يعد ذلك ، ولم يكن فيه شىء أكثر من الأخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى .

ويزداد ذلك وضوحاً باعراب الجملة وقيامها على أساس نحوى : وذلك أن التقدير يكون مع التقديم أن « شركاء » مفعول أول لجعل و « لله » في موضع المفعول الثانى ، ويكون « الجن » على كلام ثان ، على تقدير : كأنه قيل : فمن جعلوا شركاء لله تعالى ؟ فقيل : الجن .

وإذا كان التقدير فى « شركاء » أنه مفعول أول « ولله » فى موضع المفعول الثانى وقع الإنكار على كون شركاء لله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء ، وحصل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل فى الانكار دخول اتخاذه من الجن ، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة كان الذى يعلق بها من النفى عاما فى كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة فمثلاً إذا قلنا :

ما فى الدار كريم ، نكون قد نفينا الكينونة فى الدار عن كل من يكون الكرم صفة له ، وحكم الانكار حكم النفى .

وإذا كان التأخير : وجعلوا الجن شركاء لله : كان الجن مفعولا أول وشركاء مفعولا ثانياً .

وإذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصا غير مطلق من حيث كان محالا أن يجرى خبرا على الجن ، ثم يكون عاماً فيهم وفى غيرهم .

وإذا كان كذلك احتمل أن يكون القصد بالانكار إلى الجن خصوصاً أن يكونوا شركاء دون غيرهم .

إذن : فتقديم « الشركاء » يدل على عظم شأن النظم ، وكيف يزاد فى المعنى من غير أن يزاد فى اللفظ .

فدلالة النظم الظاهرة لا تخرج عن معرفة المعنى اللغوى ، وهى عامة وشائعة فى كل كلام وكل قول ..

بينما دلالة النظم الضمنية لا يدركها إلا من اختص بدقة الإحساس والذوق . وهى دلالة خاصة فى نصوص وكتابات الكتاب والأدباء .. وأما فى نظم القرآن فتسمو إلى درجات الاعجاز دون غيره من قول البشر .

اللفظ وارتباط المعانى :

فى القرآن الكريم نجد اللفظ الواحد يحمل معانى متباينة ، تجمعها دلالة واحدة بحيث يكون بينها ارتباط يقرب فيما بين بعضها البعض مثل : لفظ « قضى » ومعناه حتم . كقول الله عز وجل : « فيمسك التى قضى عليها الموت » بمعنى حتمه عليها . (سورة الزمر : ٤٢) .

ويصير الحتم بمعان ، كقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » . (سورة الاسراء : ٢٣) بمعنى أمر وحتم بالأمر .

وكقوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات » . (سورة فصلت : ١٢) . بمعنى صنعهن .

وكقوله تعالى : « فاقض ما أنت قاض » . (سورة طه : ٧٢) . بمعنى فاصنع ما أنت صانع .

فهذا اللفظ يتفرع منه معان كثيرة إلا أنها ترتبط فيما بينها .. مما يدل على أن كل معنى من هذه المعانى يلائم موقفا بعينه .

ومن هنا ندرك ما للنظم القرآنى من اعجاز .. حيث تحمل الألفاظ معان سامية تخاطب العقل والعاطفة ، لذلك فهى مزيج من اللغة النحوية واللغة الانفعالية من حيث رموزها وضوابطها وأشكالها ؛ ومن حيث مضامينها ودلالاتها النفسية بالنسبة إلى القارىء والسامع .

وإن المتتبع للدراسات النفسية من حيث ارتباطها بالدراسات اللغوية ليجد أن الفرد حينما يواجه المثيرات اللغوية المختلفة ويستجيب لها بطريقة أو بأخرى .. فإن تلك الاستجابات ـ فى واقع الأمر ـ ليست مجرد استجابات للعبارات اللفظية وتحليل عناصرها التركيبية النحوية ، وإنما هى الوقوف أولا وقبل كل شىء على تقدير قيمتها الانفعالية .

ومن ثم تختلط الانفعالية بعبارات الفكر ، وتؤثر فيها تأثيرا واضحا .. والفرد فى أحاديثه وكتاباته إنما يستخدم اللغة الانفعالية مختلطة باللغة النحوية المنظمة تنظيماً منطقيا . فمثلا ، قد يستخدم قبل العبارة اللفظية أو فى نهايتها ، لفظا معينا يتمثل فى القسم أو التعجب أو غير ذلك من ألفاظ يقصد بها التأثير الانفعالى فى القارىء أو السامع .

وهكذا ، فإن التعبير عن فكرة فى إطار تراكيبها اللغوية ليس المقصود منها التعبير من أجل ذات الفكرة بعينها ؛ وإنما من أجل ايصال التجارب منظمة مفصلة .. ومخاطبة العاطفة وإثارة الانفعال من خلال جميع تلك المعانى المتعددة الصور والأشكال .. والتى تصاحب الفكر

وتعايشه بحيث يمكن إيصال تلك التجارب إلى ذهن القارىء .

ومن هنا يمكن للألفاظ وما تحمله من مضامين أن تستثير القارىء وبالأخص من يتميز بالاحساس اللفظى .

فدلالة اللفظ تتنوع وتتعدد بالنسبة إلى الأفراد حيث تدل على معنى معين وصورة نفسية معينة ..

والتراكيب اللغوية القرآنية تقوم على كثرة الحقائق وصحتها ووضوحها من حيث معانيها اللغوية ؛ بالاضافة إلى معانيها الضمنية والتى تحقق نمطا فريدا فى مجال الاعجاز اللفظى .

إذ نجد فى الأسلوب القرآنى : الاشتراك اللفظى وهو أن اللفظ الواحد يحتمل معنيين أو أكثر ويحتاج ذلك فى القارىء مستوى من الذكاء ومعرفة خصائص اللغة وتنوع مجالاتها حتى يمكنه الموازنة بين الكلمة فى موضع ، وبينها فى موضع آخر حيث تكتسب فى كل تركيب معان وصفات جديدة . قال تعالى : « فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل » . (سورة طه ، ٣٩) . فقوله : « فليلقه » مشترك بين الخبر ، وبين الأمر ، كأنه قال فاقذفيه فى اليم يلقه اليم .

ويحتمل أن يكون اليم أمر بالقائه .

وقد يكون المعنى مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ، وذلك فى الألفاظ المترادفة كقوله تعالى : « والذين سعوا فى اياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم » . (سورة سبأ ، ٥) والرجز هو العذاب .

وهذا لتأكيد المعنى المقصود والمبالغة فيه . فعذاب من رجز ، أى عذاب مضاعف .

إذن فوقوع الاشتراك اللفظى والترادف فى آيات القرآن الكريم إنما ذلك لمعان أبعد مما يدل عليه ظاهر اللفظ ولغويته ..

التورية :

توجد ألفاظ مشتركة أى تحمل أكثر من دلالة .. وقد يكون أحد معانيها واضح المرمى والقصد لا لبس فيه ولا غموض لدى المتحدث والمخاطب ، ولا يحتاج فى فهمه عمقاً وتأملا .

وأحياناً يورى المتحدث عن قصده ، فيبدو فى تعبيره معنى من خلال السياق ، بينما يستر وراء ذلك معنى آخر يقصده ويرمى إليه .

الاستعارة :

هى ادعاء معنى الاسم للشىء . والأصل فيها المعنى ، وأنه هو المستعار . فقولنا : استعير له اسم الأسد ، هذا إشارة إلى أنه استعير له معناه . حيث لا يصلح القول : جعلته أسدا . إلا على معنى .. من حيث اثبات معانى الأسد وصفاته من شجاعة وقوة واقدام ..

والاستعارة تضفى على التراكيب اللغوية حسنا ورونقاً وتكسبها قوة حيث تستثير احساسات القارىء ، وجوانبه النفسية من فرح وحزن ؛ وأمل وألم .. إلى غير ذلك من انفعالات سارة أو مؤلمة .

كقوله تعالى : « وقطعناهم فى الأرض أمما » . (سورة الأعراف ، ١٦٨) . فالقطع موضوع لازالة الاتصال بين الأجسام التى بعضها ملتصق ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التى هى داخلة فى مفهومها وهى فى القطع أشد .

وكقوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » . (سورة يس ، ٣٧) . فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل ، وملقى ظله ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على أمر آخر .

وكقوله تعالى : « من بعثنا من مرقدنا » . (سورة يس ، ٥٢) . فإن المستعار منه الرقاد ، والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال . والجميع عقلى .

وكقوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » . (سورة الحجر ، ٩٤) . فإن المستعار منه صدع الزجاجة وهو كسرها وذلك حسى ، والمستعار له تبليغ الرسالة . والجامع لهما التأثير ، وهما عقليان .

ومن ثم فإن أسلوب التورية والاستعارة فى القرآن الكريم يوحى للقارىء بمعان لها دلالتها السيكولوجية والتى تناجى النفس الإنسانية ، وتستثير مشاعرها وانفعالاتها السارة وغير السارة .. إلى غير ذلك من معان ودلالات نفسية متباينة ..

وخلاصة القول : أن القرآن الكريم بما يتضمنه من اعجاز فى تراكيبه اللغوية ليست فى طوق البشر . إنما جمع بين المعانى اللغوية للألفاظ فى قوالبها وأشكالها وضوابطها وحقائقها .. وبين المعانى الضمنية فى دلالاتها النفسية وإثارتها للمشاعر والأحاسيس .. ووصولها بالقارىء إلى حالات الامتاع والارتياح من حيث معايشته للألفاظ وما وراء تلك الألفاظ من مضامين ..

وهذا يدلنا على أن اللغة التى يتناولها الأفراد فى أحاديثهم وكتاباتهم ليست قاصرة على اللغة النحوية - فحسب - والتى تخاطب العقل بمعنوية ألفاظها وتراكيبها ، وضوابطها وأشكالها .. وإنما تمتد إلى مخاطبة النفس الإنسانية من جميع جوانبها .. متمثلة فى اللغة الانفعالية بمضامينها ودلالاتها .

ومن هنا يمكن القول ، بأن التراكيب اللغوية القرآنية ذات معان ودلالات نفسية بالنسبة إلى القارىء والسامع .. وهى أسمى المعانى والدلالات .

obeikandl.com

أنواع المعنى

يتبين لنا ـ مما سبق ـ أن هناك مظهرين رئيسيين للمعنى يمكن التفرقة بينهما :

أولهما : هو المعنى الضمنى أو النفسى connotative meaning وهو ما يقابل المفهوم connotation فى المنطق .

وثانيهما : هو المعنى الإشارى denotaive meaning وهو ما يقابل الماصدق denotation فى المنطق .

وإذا تتبعنا مصطلح « المعنى الضمنى أو النفسى » كما يستعمل فى الدراسات السيكولوجية ، فإنا نجد نوعاً من المطابقة بينه وبين مصطلح « المفهوم » كما يستعمل فى المنطق .

وكذلك نجد نفس العلاقة بين مصطلح « المعنى الإشارى » كتعبير سيكولوجى من ناحية ، وبين « الماصدق » كتعبير منطقى من ناحية أخرى .

فالمفهوم كمصطلح منطقى ، يدوى ، يشير إلى التصور أو الفكرة المجردة العامة أو الكلية ، فهو فكرة بمعنى أن وجوده ذهنى ، وهذه الفكرة مجردة من حيث أن ما هو مجرد يقابل ما هو عينى ، والعينى concrete هو ما يعتمد على الإدراك الحسى أو الصورة الحسية .

فمثلاً : اللفظ « إنسانية ، المربعية » يعد تصوراً مجرداً ؛ أما « إنسان ، الشكل المربع » فإنه تصور عينى .

والماصدق كمصطلح منطقى ، يشير إلى الجنس أو الفكرة الكلية من حيث الأفراد التى تصدق عليها هذه الفكرة مثل « الحيوان » هو الجنس أو الماصدق ، وهذه الفكرة كلية لأنها تنطبق على عدة أفراد .

وإذن : فإن المفهوم والماصدق فى المنطق يختلف كل منهما عن الآخر فى مضمونه . فمفهوم كلمة « مثلث » ، زكى نجيب ، عبارة عن « سطح مستو محوط بثلاثة خطوط مستقيمة » ، أى الصفات التى تعين الأشياء والتى يمكن أن تطلق الكلمة عليها .

وأما ماصدق « الكلمة » فهو الشىء نفسه الذى تنطبق الكلمة عليه انطباقاً صحيحاً بمعنى المسميات التى يصدق عليها الاسم الذى يستعمل .

الأساس النظرى للمعنى

إن المعنى كما يرى أوزجود وآخرون Osgood, et al. ، عبارة عن عملية نفسية تعبر عن علاقة وظيفية بين أحداث البيئة والسلوك ، وتتضمن عدداً ما من المركبات .

ويعتمد الأساس النظرى للمعنى عند أوزجود على ما أطلق عليه فرض التوسط التمثيلى representational mediation hypothesis .

يرتبط بالمثير اللفظى ، دلالات متباينة بالنسبة إلى الفرد ، حيث تظهر تلك الدلالات فى صورة استجابات متوسطة تمثيلية (س م) representational mediation response وتؤدى هذه الاستجابات المتوسطة بدورها إلى حدوث مثيرات متوسطة (م م) ، تؤدى بدورها إلى حدوث استجابات المعنى عند الفرد .

وتعتبر هذه العملية عملية متوسطة تمثيلية representational mediation process لأنها تمثل جزءاً من السلوك أو الاستجابة الكلية (س ك) التى تصدر من الفرد بالنسبة إلى (الموضوع ـ المثير) ويرمز له بالرمز (مَ) : وهو ما يقصد به المثير الشيئى ذاته .

فمثلاً : « المفتش » كفرد يعتبر مثير شيئى بالنسبة إلى فرد آخر قد يستحيب إزاءه بصورة ما . بينما « المفتش » كلفظ يعتبر علامة sign أو مثيراً لفظياً معيناً للمفتش ذاته كفرد ، ويرمز لذلك بالرمز [م] حيث تؤدى هذه العلامة إلى استجابة متوسطة ؛ تنتج بدورها مثيراً متوسطاً (عملية متوسطة داخلية) ؛ يؤدى بدوره إلى استجابات المعنى ويرمز لها بالرمز (س ى) .

وترتبط الاستجابة الكلية بالاستجابة المتوسطة ، حيث تعتبر الأخيرة جزءاً من الأولى . ويوضح التخطيط الآتى عملية حدوث المعنى :

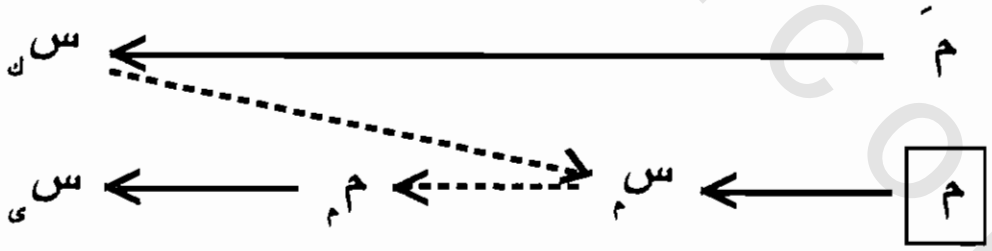

تعريف المعنى

أولاً ـ تعريف المعنى الإشارى :

تختلف نظرة كل من الفيلسوف وعالم النفس إزاء الدلالة ، فبينما يهتم الأول بشرح الشروط المنطقية الضرورية بالنسبة إلى الدلالة التى قد تتضمن أو لا تتضمن سلوك الفرد أثناء استخدامه المثير ؛ يهتم الثانى بالعمليات المتوسطة التى تحدث فى سلوك الفرد نتيجة للعلاقة القائمة بين المثيرات ودلالتها .

وبعبارة أخرى : يهتم عالم النفس بتعريف العملية المتوسطة ، أو بشرح وتفسير ما يحدث من عمليات متوسطة لدى الفرد أثناء استقبال المثير ، وإنتاج الاستجابة بالنسبة إلى هذا المثير .

وبالتالى ، إذا تتبعنا التعاريف القاموسية وغيرها التى تناولت المعنى الإشارى denotative meaning « الماصدق » ، نجد أنهاتشير إلى أن هذا المعنى يتضمن تسمية الشىء أو الظاهرة كما هى بالفعل ، أى أنه عبارة عن وصف الظاهرة وصفا ينطبق تمام الانطباق على ماهيتها وجوهرها .

يعرف وارن Warren (١٩٣٤) المعنى الإشارى بأنه : « حد ينطبق تمام الانطباق على الأشياء والظواهر » .

ويعرفه انجليش وانجليش English & English (١٩٥٨) بأنه : « حد يشير إلى حالة أو موضوع معين » .

ويعرف فى دائرة المعارف (١٩٦٠) بأنه : « علاقة ما بين حد لغوى وبين شىء معين يشير إليه هذا الحد » .

ويعرفه أوزجود وميرون Osgood & Miron (١٩٦٢) بأنه : « المظهر الوصفى للمثير وتسميته كما هو بالفعل » .

وإن هذه التعاريف تتفق من حيث مضمونها إزاء المعنى الإشارى مع ما يراه علماء العرب فى هذا الشأن ، حيث يرى ابن سينا (١٨٩٢) أنه توجد علاقة ما بين اللفظ والمعنى ، فاللفظ يدل على المعنى على سبيل المطابقة بأن يكون ذلك اللفظ موضوعا لذلك المعنى وبإزائه مثل : دلالة المثلث على الشكل المحيط به ثلاثة أضلع . بمعنى انطباق اللفظ « مثلث » تمام الانطباق على الشكل نفسه الذى يمثل المثلث .

ثانياً ـ تعريف المعنى النفسى :

يتمثل المعنى النفسى عند الفرد فى الاستجابات التقييمية بالنسبة إلى المثيرات اللفظية ، هذه الاستجابات التقييمية تتضمن ـ أصلا ـ صبغة انفعالية إزاء هذه المثيرات أو تلك .

فالفرد فى حياته اليومية ، يقابل العديد من المثيرات اللفظية التى تؤثر فيه ، ويستجيب لها بطريقة أو بأخرى ، حى ترتبط هذه المثيرات بنواحى انفعالية معينة بالنسبة له ، نتيجة لمحددات البيئة وظروف الموقف التى وجدت فيه هذه المثيرات .

وهكذا ، تتكون المعانى النفسية عند الفرد إزاء هذه المثيرات وتتحدد نوعيتها ، من حيث قربه منها أو بعده عنها ، من حيث تقبله لها أو رفضها ، من حيث قيمتها له وأهميتها ، من حيث رغبته فيها أو رغبته عنها .. الخ هذه المعانى النفسية الانفعالية التى يشعر بها الفرد إزاء هذه المثيرات ويمكن أن يعبر عنها بصور لفظية مختلفة من حيث قوة اتجاهه نحوها ، أو ضعفه .

يعرف أوزجود وآخرون . Osgood,et al (١٩٦٤) المعنى النفسى بأنه : « استجابة انفعالية تقييمية بالنسبة إلى مثير ما » .

ويعرفه بريتون Britton (١٩٣٩) بأنه : « استجابة انفعالية ينتجها مثير ما بانتظام بالنسبة إلى الفرد » .

وواضح أن المثير يرتبط بشىء ما object أو بموضوع معين .

ويعرف أوزجود وآخرون . Osgood,et al (١٩٦٤) الشىء كما يلى ، ويرمز له بالرمز « S » : « نمط مثير دال على الشىء كما هو بالفعل وينتج استجابات معينة عند الفرد » .

وهكذا تصبح هذه الأشياء المادية عند الفرد بمثابة علامات signs أو مثيرات لفظية يستجيب لها الفرد استجابات مختلفة ، تبعاً لنوع الخبرات التى مر بها فى مواقف الحياة المختلفة تجاه هذه العلامات (المثيرات) .

وبالتالى فإن هذه الأشياء المادية الملموسة تستبدل بعلامات signs تشير إلى هذه الأشياء ، وتثير نفس المعانى النفسية عند الفرد إذا ذكرت بمفردها « بغض النظر عن وجود هذه الأشياء » . فمثلا لفظ : البحر ، والطائرة ، والامتحان .. كل من هذه الألفاظ يعتبر علامة بالنسبة إلى الفرد حيث تثير فيه معانى نفسية معينة ، تتحدد تبعا لنوع الخبرات التى مر بها إزاء هذه العلامات حيث تظهر هذه الاستجابات النفسية بمجرد سماع الفرد للفظ نفسه أو قراءته ، أى دون تواجده فى هذا المكان « البحر أو الطائرة أو الامتحان » .

ويعرف وارن Warren (١٩٣٤) العلامة بأنها : « رمز يمكن أن يوضع بدل شيء بحيث يشير إلى معناه . فالكلمة المكتوبة « قط » هى علامة للحيوان « قط » وتشير إلى معنى هذا الحيوان بالذات » .

ويرمز أوزجود وآخرون . Osgood, et al (١٩٦٤) للعلامة بالرمز [S] ويعرفها بأنها : « نمط مثير ليس هو الشيء الذى يوجد بالفعل ، ولكنه يدل على هذا الشيء بالذات وبالتالى تنتج عند الفرد استجابات تتفق تماماً مع الاستجابات التى ينتجها هذا الشيء نفسه .

بيد أنه لا ينحصر تكوين المعانى النفسية عند الفرد بالنسبة إلى الأشياء والعلامات التى تدل عليها فقط ، وإنما تتكون هذه المعانى أيضاً بالنسبة إلى المفاهيم التجريدية المختلفة التى تتمثل فى حياة الفرد وبيئته ، كمفاهيم الزمن « الماضى والحاضر والمستقبل » والتى تؤثر فيه بطريقة أو بأخرى ، حيث يستقبلها الفرد وبالتالى تحدث عملية متوسطة داخلية تؤدى إلى استجابات المعنى ، تلك الاستجابات التى تكونت نتيجة للتفاعل بينه وبين هذه المثيرات اللفظية المختلفة .

ويعرف انجليش وانجليش English &English (١٩٥٨) الاستقبال decoding (بمعنى المدخلات input) بأنه : « العملية التى بها يحول المستقبل « الجهاز الحسى » العلامات « المثيرات » إلى رسائل « معانى » لدى الفرد .

وبعبارة أخرى : الترجمة أو التحويل من ترقيم غير مألوف إلى رموز أو لغة مألوفة » .

ويعرفه أوزجود . Osgood, et al (١٩٦٤) بأنه : « ارتباط العلامات بالوسيطات التمثيلية representational mediators أى الاستجابات المتوسطة ، وهو عبارة عن التفسير الداخلى غير الظاهر لدى الفرد » .

ثم بعد ذلك ، ينتج الفرد ما استقبله من مثيرات ، فى صورة أنماط سلوكية مختلفة قد تتمثل فى استجابات لفظية معينة ، يمكن أن يصف بها هذه المثيرات .

يعرف انجليش وانجليش English &English (١٩٥٨) التنفيذ encoding (بمعنى المخرجات output) بأنه :

«العملية التى بها يحول الفرد ما يقصده إلى أنماط سلوكية مختلفة قد تتمثل فى صورة استجابات لغوية باستخدام الإشارة أو العلامة » .

ويعرفه أوزجود وآخرون . Osgood, et al (١٩٦٤) بأنه : « ارتباط المثير الذاتى الوسيط بالمتواليات الأدائية العلنية الظاهرة ، أى التعبير الخارجى عن الأفكار » .

وكما رأينا ، فقد أشار مصطلح « الاستقبال decoding » إلى الارتباط الذى يحدث بين العلامة « فى البيئة الخارجية » وبين العمليات الوسيطة أو المتوسطة الداخلية عند الفرد ، الذى يقوم بتفسير داخلى غير ظاهر لهذا الارتباط ، أى استجابة داخلية غير ظاهرة .

كما أشار مصطلح « التنفيذ أو المخرجات encoding » إلى الارتباط الذى يحدث بين المثير الذاتى الوسيط الذى ينتج من الاستجابة الداخلية المتوسطة ، وبين الاستجابات الظاهرة التى تنتج من هذا المثير الذاتى الوسيط ، حيث فيها يقوم الفرد بالتعبير عن الأفكار ، ولذلك أصبحت هذه الاستجابات ظاهرة علنية غير داخلية .

يتبين لنا ـ مما سبق ـ أن هناك علاقة بين العلامات التى ترمز للأشياء ، واستجابة المعنى التى تصدر من الفرد بالنسبة إلى هذه العلامات . ويتضح ذلك فى التنويع الصوتى ، وأبعاد التركيب التى يستخدمها المتحدث .

والعلامة ما هى إلا رابطة بين شيئين ؛ وقد تبنى شارل موريس Morris (١٩٤٦) نظرية العلامات حيث وضع خطة تصنيف للغة أو لعلم الرموز Semiotic من حيث أن اللغة ما هى إلا مثل من أمثلة الرموز ، تضمنت أن الرمز ذو معان ثلاث :

(أ) المعنى العملى Pragmatical meaning : ويتضمن علاقة المثيرات بالسلوك الإنسانى فى المواقف المختلفة .

(ب) المعنى التركيبى أو النحوى Syntactical meaning: ويتضمن علاقة المثيرات بعضها ببعض ، بمعنى البحث فى التراكيب اللغوية ، أى من حيث إعراب الكلمات .

(جـ) المعنى السيمانتى Semantical meaning : ويقصد به المعنى النفسى (الانفعالى) ويتضمن علاقة المثيرات بدلالاتها عند الفرد حيث يشعر بمعانى كلماته ويتخير منها ما يروق له .

وهكذا ، فإن السميوتيك يتناول حياة الألفاظ ، حيث بمقتضاه تكون للعلامة ثلاث علاقات : علاقتها بالسلوك الإنسانى ؛ وبغيرها من العلامات ؛ ثم علاقتها بمن يقوم بتفسيرها ، ومن هنا نشأت أبعاد السميوتيك الثلاثة التى سبق ذكرها .

الاشتراط اللفظى وتكوين المعنى

تتم عملية تكوين المعنى بالنسبة إلى الأشياء والأحداث عند الطفل حينما يعرض عليه شىء ما وليكن مثلا لعبته « القطار » ، وفى نفس اللحظة يسمع "" "" "" بهذه اللعبة ينطقه المحيطون به ، وبتكرار هذه العملية من حيث ارتباط المثير اللفظى الدال على الشىء ، بالمثير الشيئ نفسه ، يصبح للفظ معنى عند الطفل .

بيد أن السلوك اللفظى عند الطفل ، كما يرى ستاتس وستاتس Staats & Staats، لا يتأتى إلا بعد أن يسيطر على الوحدات اللفظية وذلك بضبط الحروف السمعية والمرئية ضبطاً يمكنه من النطق الصحيح .

وإذا كان اللفظ جديداً بالنسبة إلى الطفل ، أى لم يسبق له أن مر به ، فإنه فى هذه الحالة يعتبر لفظا بلا معنى بالنسبة إليه . ولذلك نقول فى لغتنا اليومية ، أن الطفل يمكنه قراءة الكلمة دون أن يفهمها .

وهكذا ، تتصل معانى الأشياء والأحداث سواء أكانت بسيطة أم مركبة ، بخبرات الطفل السابقة حيث تبدأ عملية تكوين المعانى بالمحسوسات ، إذ يقبض الطفل على الأشياء ويلمسها أثناء سماعه اللفظ الخاص بها فيتكون المعنى .

ويلاحظ أنه فى بادىء الأمر ، عندما ينطق الطفل اللفظ الواحد ليعبر به عن الجملة ، أن نغمة صوته وحركة أطرافه وجسمه وتعبيرات وجهه كلها تحمل المعنى الذى يريده .

وإنه لمن الخطأ فى المراحل الأولى من تعليم الطفل أن يستعمل لفظان مختلفان لمعنى واحد (المترادفات) مثل : « قفز ووثب ، نال وأحرز ، وعى وحفظ » . أو أن يستعمل لفظا واحدا لمعنيين مختلفين مثل : « ضاع المسك » أى انتشر وفاح عطره . « وضاع القرش » أى اختفى . ومثل لفظ الندى بمعنى الكرم ؛ وأيضاً بمعنى ما يسقط من بخار الماء فى الباكورة على الأزهار والأشجار . حيث يؤدى ذلك إلى تعطيل تكوين المعانى والمدركات الكلية .

ويتمثل ذلك فى مشكلة اللغة العربية والعامية ، أى اللغة الدارجة التى يستعملها الطفل فى حياته اليومية . وبالتالى ، يجب تحديد اللفظ المستخدم فى موقف معين وبالنسبة إلى الشىء المعين حتى لا يلتبس على الطفل المعنى والمفهوم ، مثل لفظ « السبورة » وما يقابله فى العامية (تختة) ؛ ولفظ « المصباح الكهربائى » وما يقابله من ألفاظ (لمبة ونور .. الخ) .

فمن الواجب - إذن - أن تسير العملية التعليمية خطوة خطوة من اللغة التى يتكلم بها

الطفل، والتى قد تعلمها بالفعل من بيئته التى يعيش فيها ، إلى اللغة العربية الفصحى وذلك عن طريق القصص والأناشيد والقراءة حتى تؤدى الغرض المرجو منها أفضل أداء .

فلا شك ـ إذن ـ أن السلوك اللغوى عند الفرد يتطلب عمليات هامة : فالطفل ـ فى بادىء الأمر ـ يمكنه النطق بلفظ جديد ، مثل « لبن أو موز .. الخ » وذلك بعد سماعه اللفظ فى وجود المثير الشيئ نفسه وهو اللبن أو الموز . أى ارتباط اللفظ بالمثير الذى يدل عليه هذا اللفظ بالذات .

ومن هنا يبدأ الطفل فى تعلم وحدات لفظية صحيحة ، تدعم فيما بعد ـ وبعد مرحلة معينة من النضج ، بالحروف المرئية لتلك المثيرات .

وبالتالى ، يتكون معنى اللفظ الجديد عن طريق ضبط المثير اللفظى البصرى ؛ بعد أن كان هذا اللفظ ـ فيما سبق ـ بلا معنى بالنسبة إلى الطفل .

ومن الملاحظ ـ كما سبقت الإشارة ـ أننا نذكر فى لغتنا اليومية باستمرار، أن الطفل يمكنه أن يقرأ الكلمة ولكنه لا يفهمها . حيث يرجع ذلك إلى أن الكلمة مازالت جديدة بالنسبة له ، ولم يحدث بعد، الاقتران بينها وبين المثير الشيئى نفسه، تلك العملية اللازمة لحدوث المعنى ونموه .

ومصطلح المعنى ـ مصطلح عام كثيراً ما نتناوله فى لغتنا اليومية العادية . إلا أنه قد دارت مناقشات عدة حول هذا المصطلح ، بطريقة غير موضوعية مدة من الزمن : فكان الجدل الفلسفى الذى لم يؤد إلى الفهم العلمى للعمليات المتضمنة فى تكوين معنى اللفظ . كما لم يصف أهمية معنى اللفظ فى السلوك اللفظى .

وفى الواقع ، أن الأسس التى قامت عليها عملية تعلم معنى اللفظ ، قد ظهرت فى الاشتراط الكلاسيكى من حيث الاقتران التكرارى بين مثيرين ، لصدور استجابة ما . وقد أوضح أوزجود Osgood حدوث مثل هذه العملية فى التعلم اللغوى وهى : أن معنى اللفظ ينشأ من عملية اقتران بين اللفظ وبين المثير الشيئ الدال على هذا اللفظ .

بمعنى أن المثيرات اللفظية (أصوات كلامية) تقترن مع مثيرات شيئية اقترانا منتظماً متكرراً . مثال ذلك : حينما تقول الأم لطفلها كلمة « كرة » مرات عديدة فى اللحظة التى يتطلع فيها إلى المثير الشيئى نفسه وهو الكرة . أو تقول كلمة « قطة » فى حضور القطة أمام عينى الطفل . أو تقول : « لا » وتدفع الطفل بشدة بعيداً عن شىء ما ، أو تنزع شيئاً ما من يده .

ففى كل من هذه الحالات ، يوجد اقتران منتظم ومتكرر بين مثيرين . أحدهما عبارة عن مثير لفظى ؛ والآخر عبارة عن مثير شيئ .

ويدلنا المثال التالى لما يمكن أن يحدث أثناء هذا الاقتران المنتظم ، كما تفسرها أسس الاشتراط الكلاسيكى .

حينما يسمع الطفل مثيراً معيناً وليكن « لا » ، وذلك فى اللحظة التى يراد فيها حدوث استجابة معينة مثل « سحب اليد » .

فالمثير السمعى « لا » يعتبر مثيرا « شرطياً » بالنسبة إلى استجابة « سحب اليد » ؛ بينما تعتبر « ضربة على اليد » مثيرا « غير شرطى » بالنسبة إلى اليد المنسحبة .

وبتكرار حدوث هذه العملية عدة مرات حيث يسمع الطفل أولا كلمة « لا » ؛ تعقبها مباشرة « الضربة على اليد » وذلك حينما يبدأ الطفل فى شد التليفزيون شدة عنيفة .

فإنه تحدث علاقة اشتراطية بين كلمة « لا » وسحب اليد ؛ وبالتالى تحل هذه العلاقة محل العلاقة بين « ضربة على اليد » وسحب اليد . وذلك بعد اقتران كلمة « لا » عدداً من المرات مع « الضربة على اليد » .

وفى هذه الحالة ، تنشأ علاقة اشتراطية بين المثير الشرطى « لا » ، والاستجابة الشرطية « سحب اليد » . وهكذا ينشأ ويتكون المنعكس الشرطى .

إذن : فإنه إذا شرطنا استجابة معينة بمثير ما ، يقترن بمثيرها الأصلى ، مع تكرار هذه العملية عددا من المرات ، فإن الفرد يمكنه أن يتعلم كيف يستجيب للمثير الشرطى وذلك بإعطاء الاستجابة الأصلية الطبعية والتى اقترن بها أثناء عملية التعلم الشرطى .

وهكذا ، فإنه يمكن القول بأن الطفل قد تعلم معنى اللفظ . من حيث أنه يمكنه إعطاء استجابة مناسبة « سحب اليد » بالنسبة إلى مثير لفظى معين وهو كلمة « لا » .

وفى الواقع ، يقترن العديد من الألفاظ « مثيرات شرطية » ، بمثيرات « غير شرطية » لصدور أنماط معينة من الاستجابات . حيث أنه بعد عدد من المرات يمكن أن توصف استجابات الطفل لهذه الألفاظ بأنها ذات معنى . فمثلاً : قد يقترن لفظ « سىء أو قاسى أو مقزز » اقترانا منتظماً مع مثيرات مختلفة تتسم ـ عموماً ـ بخواص مكروهة أو منفرة . حيث يمكن أن تقترن هذه المثيرات اللفظية (الشرطية) بمثيرات (غير شرطية) كالعقاب ؛ أو طعام فاسد ؛ وبالتالى يمكن لهذه المثيرات اللفظية ـ بمفردها ـ أن تنتج الاستجابة الطبعية كالصراخ ؛ أو الغثيان أو القىء .

وفى الحقيقة ـ أن هذه المثيرات المكروهة ، تؤدى إلى حدوث استجابات فسيولوجية معينة

لدى الفرد ، مثل تغير سرعة دقات القلب ؛ ونشاط الغدة العرقية ؛ وارتفاع ضغط الدم .

وبالتالى ، فإنه تبعا للتعلم الشرطى ، فإن المثير اللفظى « الشرطى » الذى اقترن بالمثير المكروه « غير الشرطى » ؛ يمكنه ـ بمفرده ـ أى دون وجود المثير المكروه ، أن ينتج هذه الاستجابات الفسيولوجية ـ السابقة الذكر .

وإذن : يمكن القول بأن المثير اللفظى يحل محل المثير الأصلى « المكروه » ويعطى نفس الاستجابة التى يعطيها هذا المثير الأخير .

والتجربة التى قام بها ستاتس وآخرون . Staats, et al توضح لنا هذه العملية حيث عرضت قائمة من الكلمات عرضا شفهيا على كل من مجموعتين من المفحوصين : مجموعة تجريبية ؛ ومجموعة ضابطة .

وألقيت التعليمات على المفحوصين بتعلم قائمة الكلمات . وقد أعطى المفحوصون فى المجموعة التجريبية صدمة كهربية بعد عرض الكلمة LARGE مباشرة ؛ كما أن هذه الكلمة كانت تعرض بصوت مرتفع أجش ؛ حيث ظهرت مرات عديدة على القائمة .

وقد أدت هذه المثيرات المكروهة « غير الشرطية » إلى حدوث استجابة غدية عرقية (GSR) « فى راحة اليد » .

كما أن المجموعة الضابطة قد تلقت أيضاً الصدمة الكهربية ؛ والصوت الأجش ؛ ولكن بدون اقتران مع الكلمة LARGE .

وقد سجل أثناء هذه العملية ، نشاط الغدة العرقية فى راحة اليد .

كما عرضت الكلمة LARGE بدون إعطاء الصدمة وبدون الصوت الأجش ؛ وسجلت الاستجابة الغدية العرقية للكلمة بمفردها .

وبالإضافة إلى ذلك ، طلب من المفحوصين إعطاء تقدير ما أو تقييم لمعانى بعض الكلمات التى عرضت عليهم فى قائمة الكلمات التى تضمنت كلمة LARGE .

وقد دلت نتائج تسجيلات الاستجابات الغدية العرقية ؛ وتقديرات معنى الكلمة على الآتى :

١ – اقتران كلمة LARGE بالصدمة الكهربية ، والصوت الأجش قد غير المعنى المقدر للكلمة وجعلها أكثر اكتئاباً .

٢ – ارتباط حدة المعنى المقدر للكلمة بحدة الاستجابة الغدية العرقية الشرطية ارتباطاً ذا دلالة .

وتدلنا هذه الدراسة على أن معنى اللفظ يتكون عن طريق التعلم الشرطى ، وبالتالى فإن الاستجابات الشرطية تكون معنى اللفظ .

وقد ناقش سكينر Skinner ، كيفية حدوث الاستجابات الحسية بوساطة مثيرات شرطية . بمعنى أن المثير البصرى يمكن أن يؤدى إلى حدوث استجابة مرئية عند الفرد ؛ كما أن المثير السمعى يؤدى إلى حدوث استجابة سمعية ؛ وكذلك المثير اللمسى يؤدى إلى حدوث استجابة حسية . وهذا مؤداه « المنعكس الشرطى » .

فقد يرى الفرد أو يسمع « مثيرات لا تكون موجودة أى ماثلة أمامه » فقد يرى مثلا « س » من الأفراد ـ ليس فى تواجده بالفعل ـ وإنما فى تواجد أى مثير آخر كان يصاحب « س » مصاحبة متكررة .

كما أن جرس العشاء لا يجعل لعابنا يسيل ـ فقط ؛ بل فى الحقيقة يجعلنا نرى الطعام نفسه .

ووجد ماورر Mowrer أنه يمكن حدوث استجابات حسية بالنسبة إلى الضوء ، حتى فى حالة عدم وجود الضوء فعلاً ـ كمثير ـ أمام الفرد .

وعلى ذلك ، فإن الأم حينما تذكر لطفلها لفظ « كرة » ، فى اللحظة التى تشير فيها إلى الكرة فعلا ، يتكون فى هذه الحالة المعنى الخاص بالمثير اللفظى ، وبالتالى يمكن أن تحدث استجابة المعنى تبعاً لعملية التعلم الشرطى .

والكرة عبارة عن مثير شيئى « غير شرطى » ، يؤدى إلى حدوث استجابة حسية (R-s) ، حيث يختزل جزء من هذه الاستجابة (r-s) ، ويصبح استجابة شرطية بالنسبة إلى المثيرات الأخرى .

فحينما يقترن لفظ « كرة » ، كمثير شرطى C S ، مع الشىء نفسه وهو الكرة ؛ فإن اللفظ ينتج جزءا من الاستجابات الحسية التى نتجت بوساطة الكرة نفسها وهذه الاستجابات تكون معنى اللفظ .

إذن : فإن الاشتراط يحدث بالنسبة إلى معنى اللفظ ، حينما يقترن مثير لفظى (شرطى) بمثير آخر غير شرطى . وبهذا تكون الاستجابة الشرطية عبارة عن معنى اللفظ ، حيث يطلق

عليها استجابة المعنى الشرطية .

ويلاحظ أن استجابة المعنى التى ارتبطت شرطيا مع الكلمة المثير ، تختلف عن الاستجابة الكلية التى ينتجها المثير الشيئى نفسه . فمثلا : المثير الشيئى « ماء مغلى » ؛ يؤدى إلى حدوث استجابة حركية معينة بالنسبة إلى الفرد وهى « سحب اليد » ؛ بينما إذا اقترن اللفظ « غليان » بالشىء نفسه ، فإن هذا اللفظ ينتج جزءا ـ فقط ـ من الاستجابة الحركية التى نتجت بوساطة الشىء نفسه .

وقد تناول أوزجود Osgood ، دراسة كيفية حدوث المعنى بالنسبة إلى الفرد ـ كما سبق أن ذكرنا ـ حيث ميز بين الاستجابات الناتجة من المثير الشيئى ، وبين الاستجابات الناتجة من المثير اللفظى .

فمثلاً : ميز بين الاستجابات الحركية التى تنتج من مثير شيئى معين وليكن «شاكوش» ؛ وبين الاستجابات التى تنتج من المثير اللفظى الذى يدل على ذلك وهو لفظ « شاكوش » .

إذ أن المثير الشيئى عبارة عن شىء ثقيل، له خواص مرئية معينة ، وخواص لمسية معينة ، وآثار ذوقية معينة بالنسبة إلى الطفل الصغير .

أى أن هذا المثير الشيئى يؤدى إلى حدوث نمط كلى للسلوك ، يتضمن فهم الخواص التى تميزه عن غيره من المثيرات ، وحركات الدق ذات الأصوات المتباينة . ومن هذه الأنماط الكلية ، ترتبط استجابات معينة ارتباطا شرطيا مع اللفظ نفسه الدال على الشىء .

ومن الطريف أننا نلاحظ أن الطفل، إذا سألناه عن اللفظ « شاكوش » : ما هو، وما يدل عليه؟ فإنه يقوم بتحريك يده إلى أعلى وإلى أسفل . أى أنه يقوم بنوع من الاستجابات الحركية التى تدل على الاستعمالات الخاصة بالشاكوش، فهى حركات واضحة لليد تعبر عن سلوك آلى معين.

ويرتبط جزء من الاستجابة الكلية التى تنتج من المثير الشيئى نفسه ، ارتباطا شرطيا مع المثير اللفظى الدال على هذا الشىء ، ومن هنا يتكون معنى اللفظ .

استجابات المعنى واستجابات الكلام

تحدث ارتباطات مختلفة ، أثناء عملية التدريب اللغوى بالنسبة إلى الطفل . وتدلنا استجابات المعنى ـ التى نوقشت ـ على أنها استجابات حسية ، وحركية . وتعتبر أنماط الارتباطات ـ السابقة ـ ذات أهمية قصوى بالنسبة إلى تعلم اللغة . ويلاحظ أن الاستجابة الحسية التى تنتج بوساطة المثير الشيئى ، ترتبط ارتباطاً شرطيا مع المثير اللفظى حيث يتكون معنى اللفظ .

وترتبط استجابات الكلام ارتباطا شرطيا مع الاستجابات الحسية . حيث تدعم استجابة الكلام ، أثناء عملية اللمس ، وذلك حين صدور الاستجابة الحسية التى تنتج بوساطة الشىء نفسه .

وبالتالى ، تتكون علاقة ما بين الاستجابة الحسية التى تنتج بوساطة الشىء وبين استجابة الكلام .

فمثلا : حينما تقول الأم لطفلها « كرة » وذلك أثناء رؤيته الكرة فعلا ، تتكون فى هذه الحالة ، استجابة حسية بالنسبة إلى الكرة . ويرتبط جزء من هذه الاستجابة الحسية ارتباطا شرطيا ، مع المثير اللفظى « كرة » .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه حينما تدعم الأم الاستجابة اللفظية للطفل وهى قوله « كرة » وذلك فى نفس الوقت الذى يستجيب فيه للمثير الشيئى « الكرة » ؛ فإنه فى هذه الحالة تنشأ علاقة ما بين الاستجابة الحسية بالنسبة إلى الكرة ، وبين استجابة الكلام للفظ « كرة » . وبهذه الطريقة ، فإن استجابة الكلام للفظ « كرة » ، تستدعى بوساطة الاستجابة الحسية .

وهكذا ، فإن معنى اللفظ الذى تكون خلال هذه العملية ، يؤدى إلى حدوث الاستجابة المعينة لدى الطفل بالنسبة إلى اللفظ المعين .

وبالتالى ، يمكن القول بأن الاستجابة اللفظية التى تصدر من الطفل ، ما هى إلا تعبير عن المعنى الذى تكون لديه بالنسبة إلى اللفظ .

التعميم السيمانتى

أولا : التعميم السيمانتى من اللفظ إلى الشىء :

يتضح لنا ـ إذن ـ من التفسير السابق لمعنى اللفظ ، أنه يمكن أن تحل الاستجابة بالنسبة إلى اللفظ محل الاستجابة بالنسبة إلى الشىء . حيث أنه قد أصبحت الاستجابة اللفظية استجابة ملائمة بالنسبة إلى الشىء الذى تدل عليه . إذ أن اللفظ ـ فى واقع الأمر ـ ينتج جزءا من الاستجابة التى ينتجها الشىء نفسه .

وعلى هذا الأساس ، فإن السلوك الصادر من الفرد ، والذى قد ارتبط شرطياً مع لفظ ما ، يمكن أن يعمم إلى الشىء الذى يشير إليه هذا اللفظ .

وهكذا تدلنا الدراسات السابقة التى تناولت موضوع التعميم السيمانتى أنه :

إذا استعمل لفظ ما كمثير شرطى ، وارتبطت استجابة معينة مع هذا المثير ارتباطا شرطيا ، فإن هذه الاستجابة الشرطية « الجديدة » ، يمكن أن تصدر أيضاً بوساطة المثير الشيئى الذى يشير إليه اللفظ .

فمثلاً : إذا استعمل اللفظ « أزرق » كمثير شرطى ؛ وبالتالى ارتبطت استجابة ما ارتباطا شرطيا مع هذا اللفظ . فإن هذه الاستجابة يمكن أن تحدث أيضاً ، وبدون عملية الاشتراط ، بوساطة الضوء الأزرق .

وهكذا ، فإن عملية الاشتراط الخاصة باستجابات المعنى ، تؤدى ـ أساساً ـ إلى حدوث التعميم السيمانتى . فمثلا : اللفظ « أزرق » يقترن أثناء عملية التدريب ـ العادى ـ للطفل ، مع الضوء الأزرق الذى يبعث من مصادر عديدة مختلفة .

ومن هنا ، يرتبط جزء من الاستجابة الحسية بالنسبة إلى الضوء الأزرق ارتباطاً شرطياً مع المثير اللفظى « أزرق » . وتبعاً لذلك فإن كلا من الضوء الأزرق واللفظ « أزرق » ، يؤدى إلى حدوث استجابة مماثلة .

وعلى أساس هذا الاشتراط ، فإنه بالتالى يمكن لأى سلوك جديد ، يرتبط ارتباطاً شرطياً مع اللفظ ، أن يعمم بالنسبة إلى الضوء .

وهكذا ، إذا ارتبطت استجابة أخرى ارتباطاً شرطياً مع اللفظ « أزرق » ، فإن الاستجابة

يمكن أن تحدث أيضاً بوساطة « شيء أزرق » فمثلا : إذا تكرر عرض اللفظ « أزرق » مع اقتران ذلك بصدمة كهربية خفيفة ؛ فإن الاستجابة السيكوجلڤانية GSR التى تحدث من الصدمة الكهربية ؛ يمكن أن تصدر أيضاً حتى فى حالة عرض اللفظ بمفرده .

وهذه العملية تتضمن ـ أيضاً ـ معنى اللفظ . ويلاحظ أنه كلما يعرض اللفظ « أزرق » ؛ فإنه ينتج الاستجابة الحسية التى ارتبطت شرطيا معه .

وبوساطة اقتران الصدمة الكهربية مع المثير اللفظى ، فإنه يمكن أن ترتبط الاستجابة السيكوجلڤانية « التى تحدث من الصدمة » ، ارتباطا شرطيا مع معنى اللفظ .

فالضوء الأزرق يؤدى إلى حدوث الاستجابة الحسية الخاصة بالمعنى ؛ والتى تؤدى بدورها إلى حدوث الاستجابة السيكوجلڤانية .

حيث أن اقتران اللفظ « أزرق » مع « صدمة كهربية » ، يظهر فى الاستجابة التى تنتج بوساطة الشيء الأزرق ، أثناء ظهور الاستجابة الحسية الخاصة بالمعنى ، والتى نتجت من الاقتران بين الضوء واللفظ .

ويبدو ـ إذن ـ أن ذلك يعتبر إحدى الوظائف الأولية للغة . وقد رأينا فى هذا المثال ، أنه بالرغم من أن المثير « الشيء الأزرق » ، لم يقترن بالمثير « الصدمة » ، والذى أدى إلى حدوث الاستجابة السيكوجلڤانية ؛ يمكن أن يؤدى إلى حدوث هذه الاستجابة أيضاً .

وبما أن الفرد قد يستجيب للشيء ، كما يستجيب للصدمة ؛ فإن كلا من الشيء الأزرق والصدمة يقترن أحدهما بالآخر فى خبرة الفرد .

وهكذا ، يمكن القول : بأنه على أساس خبرة الفرد إزاء مثيرات لفظية معينة ، تتحدد نوعية استجابته بالنسبة إلى أحداث بيئية مختلفة .

ثانياً : التعميم السيمانتى من الشيء إلى اللفظ :

وبنفس الطريقة السابقة ، يمكن أن يحدث هذا النمط العكسى من التعميم .

حيث أنه إذا اعتبرنا الشيء الأزرق (الضوء) هو المثير الشرطى ، وأن الاستجابة السيكوجلڤانية ترتبط معه ارتباطاً شرطياً ، وذلك باقتران هذا الشيء بالصدمة الكهربية . فإنه إذا عرض اللفظ « أزرق » ، يؤدى ذلك إلى حدوث الاستجابة السيكوجلڤانية .

والعمليات التى تحدث أثناء هذا التعميم هى : أن الضوء الأزرق يؤدى إلى حدوث استجابة

حسية معينة خاصة بالمعنى . وحينما يقترن الضوء الأزرق بالصدمة الكهربية « المثير غير الشرطى » ، ترتبط فى هذه الحالة الاستجابة السيكوجلڤانية التى نتجت بوساطة الصدمة ، ارتباطاً شرطياً مع الاستجابة الحسية « أزرق » .

وبالتالى فإن اللفظ « أزرق » يؤدى أيضاً إلى حدوث الاستجابة السيكوجلڤانية .

ثالثاً : التعميم السيمانتى من اللفظ إلى اللفظ :

الترادف فى اللغة ، عبارة عن لفظين معينين يحملان نفس المعنى . ومن الممكن أن يصبح اللفظ ذا معنى إذا اقترن بمثير آخر يؤدى إلى حدوث استجابة معينة . وهذا ما نلاحظه ـ غالباً ـ فى تعلم اللغة حيث يقترن لفظان أو أكثر بطريقة منتظمة مع نفس الشىء ـ المثير الذى يدل على اللفظ المعين .

ومن ذلك نجد أن هذه الألفاظ تؤدى إلى حدوث نفس استجابات المعنى التى ارتبطت ارتباطا شرطياً مع المثير الشيىء . وبالتالى ، فإننا يمكن أن نستجيب لهذه الألفاظ بطريقة متشابهة ، حيث أنها تعنى نفس الشىء ، أو بعبارة أخرى فإنها مترادفة .

فمثلا : لفظ عربة CAR ولفظ سيارة AUTOMOBILE ، لفظان مترادفان حيث أنهما يقترنان بأشياء ـ مثير متشابهة ، وعلى هذا يرتبطان ارتباطاً شرطيا حيث تنتج استجابات معنى متشابهة .

وحيث أن الترادف يؤدى إلى حدوث استجابات معنى متشابهة ، فإن التعميم من مترادف لآخر يحدث بنفس الطريقة التى تحدث بها الحالات الأخرى للتعميم السيمانتى .

وتبعاً للمثال السابق الذكر ، فإنه إذا اقترن اللفظ « أزرق » مع صدمة كهربية ، فإن الاستجابة السيكوجلڤانية ترتبط ارتباطاً شرطياً مع معنى اللفظ .

وبما أن اللفظ « أزرق سماوى » يؤدى إلى حدوث نفس استجابة المعنى ؛ إذن فإن الاستجابة السيكوجلڤانية يمكن أن تحدث أيضاً بوساطة اللفظ « أزرق سماوى » .

وبالتالى ، فإن إذا ارتبطت استجابة ما ارتباطاً شرطياً مع مثير لفظى ، فإنه من الممكن أن تعمم إلى استجابة أخرى .

وقد أجرى فيليبس Phillips تجربة تبين عملية نمو الترادف والطريقة التى يتم بها التعميم السيمانتى من لفظ إلى لفظ آخر .

والمواد المستخدمة في التجربة ، عبارة عن خمسة ألفاظ بالإضافة إلى خمسة ظلال مختلفة من اللون الرمادى ، حيث تختلف بالتتابع من اللون الفاتح إلى اللون الغامق .

وبنفس الطريقة التى يتعلم بها الطفل تسمية الأشياء ؛ يتدرب المفحوصون على الاستجابة للفظ خاص بالنسبة إلى ظل خاص من اللون الرمادى ، متى طلب منهم تبيان الظل الرمادى الصحيح أثناء عرض اللفظ .

وإن هذا التدريب (استجابة حسية شرطية) يؤدى إلى حدوث ارتباط شرطى بين الظلال الرمادية وبين المثيرات اللفظية ، حيث يترتب على ذلك حدوث معنى اللفظ .

وهكذا ، فإن كل لفظ يؤدى إلى حدوث استجابة حسية شرطية بالنسبة إلى اللون الرمادى ، وقد تتشابه كل استجابة مع الأخرى بدرجات مختلفة .

وتعتبر كل من المثيرات اللفظية الخمسة مترادفات ، حيث أنها تؤدى إلى حدوث استجابات حسية شرطية متشابهة .

وبالتالى ، يمكن أن يحدث التعميم السيمانتى من لفظ ما إلى ألفاظ أخرى . ويتوقع حدوث التعميم بدرجة أكبر بين الألفاظ ذات المعنى المتقارب .

ولذلك ، فإنه حينما يترادف لفظان ، فإن ذلك يؤدى إلى حدوث استجابات معنى متشابهة . مع ملاحظة أن خبرة الفرد التى تتكون بالنسبة إلى أحد الألفاظ ، يمكن أن تعمم إلى لفظ آخر .

وتبعاً لهذا التفسير ، فإن الألفاظ تؤدى إلى حدوث استجابات معنى متشابهة ، ولكن بدرجات مختلفة .

وقد يقترن لفظان اقتراناً منتظماً مع المثير الشيئى نفسه ، وبالتالى يمكن أن تحدث نفس استجابة المعنى الشرطية . وبعبارة أخرى : يمكن أن يؤدى لفظان إلى حدوث استجابات معنى شرطية تتشابه فى نواح معينة وتختلف فى أخرى .

فمثلا : الألفاظ « مر ، وقذر ، ومريض ، وفشل » ؛ يمكن أن يكون حكم الأفراد عليها بأنها ألفاظ تحمل معنى سلبى أو غير سار . حيث أنه من المتوقع ـ عادة ـ أنه إذا اقترنت هذه الألفاظ بمثيرات ما (شيئية) ، فإنه بالتالى تحدث استجابات معنى سلبية متشابهة .

وتبعاً لذلك ، فإنه من المتوقع أن الاستجابات التى تنتج بوساطة هذه المثيرات الشيئية ،

وترتبط ارتباطاً شرطياً مع الألفاظ حيث تكون جزءاً من معناها ؛ قد تتميز بدرجة تشابه معينة ، والتى على أساسها تترادف الألفاظ .

أثر الخبرة فى المعنى

تؤثر الخبرة التى يكتسبها الفرد من بيئته الثقافية تأثيراً مباشراً فى تكوين مفاهيمه حيث يرى فورست Forest أن هـذه الخبرات الجزئية هى التى تبنى الثقافة نفسها فيما بعد ، وتعمل على تنمية وإدماج البيولوچية الفردية المنعزلة داخل الإطار الاجتماعى العام . أو بعبارة أخرى : تعمل على تجميع هذه الفرديات المنعزلة فى كل واحد داخل إطار عام هو الإطار الاجتماعى .

وهكذا تعتبر هذه الخبرة التى يكتسبها الفرد أثناء الاتصال الاجتماعى هى المسئولة الأولى عن تكوين المعانى والتى تميز انتماءه لهذه الجماعة دون غيرها من الجماعات .

بينما وجد روبرت وهول Robert & Hall أن الفرد يكون خبرته عن العالم الخارجى المحيط به فى صورة كلية غير مجزأة وأن التقسيمات التى توجد فى هذه الخبرة ، مثل التقسيمات التى تتضمنها المعانى فى اللغة ، ليست إلا تقسيمات اصطلاحية للضرورة فقط .

وفى الواقع ؛ أن معنى اللفظ يتحدد فى ضوء استعمالاته : فمعنى الحذاء والكرسى والملعقة ، مراد ، وغير ذلك ، يتكون لدى الطفل باستعماله هذه الأشياء ، ومعرفة وظيفة كل منها حيث ترتبط المعالجة اليدوية للأشياء بالمعالجة اللفظية ارتباطاً وثيقاً . وكذلك تتدخل سائر الحواس الأخرى من بصر وسمع ، حيث ينتزع كل حس من الواقع خاصة معينة دون سواها لترتبط باللفظ ويتكون المعنى والدلالة .

* * *